



قصة سيدنا ابراهيم

خطب الجمعة

2017-08-11

عمان

مسجد الناصر صلاح الدين

يا ربنا لك الحمد ملاً السماوات والأرض، وملاً ما بينهما، وملاً ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد، أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا مُعطي لما منعت، ولا يتفع ذا الجد منك الجد، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، غنى كل فقير وعز كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومفرج كل ملهوف، فكيف نفتقر في غناك؟! وكيف نضل في هداك؟! وكيف نذل في عزك؟! وكيف نضام في سلطانك؟! وكيف نخشى غيرك والأمر كله إليك؟! وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، أرسلته رحمة للعالمين بشيراً ونذيراً، ليُخرجنا من ظلمات الجهل والوهم، إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات، فجزاه الله عنا خيراً ما جزا نبياً عن أمته.
اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواج سيدنا محمد، وعلى ذرية سيدنا محمد وسلِّم تسليماً كثيراً.

قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام وارتباطها بالحج:



قصة أئمة إبراهيم ترتبط بالحج

وبعد فبما أئمة الإخوة الكرام، في هذه الأيام نستقبل موسماً من مواسم الطاعات، والقربات، والخيرات، نُودع من الأهل والأصحاب من كتب الله لهم ويسر لهم أسباب الحج وسبله، ونستقبل قلوباً تهفو إلى تلك الديار المقدسة، وتطمع في زيارة بيت الله الحرام، وزيارة نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، إلا أنه قد منعها مانع عن حج بيت الله الحرام، فتبقى القلوب معلقةً بهذه البلاد، نستلهم معاً في هذه الأشهر، أشهر الحج، قصةً ترتبط بالحج، قصة أئمة إبراهيم عليه السلام، ففي صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال، قال: صلى الله عليه وسلم:

(أَوَّلَ مَا اتَّخَذَ النَّسَاءُ الْمِنْطَقَ)، والمِنْطَقُ هو الجرام الذي يُشَدُّ في وسط المرأة، المِنْطَقُ، (مِنْ قِبَلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ اتَّخَذَتْ مِنْطَقًا لِيُعْفِيَ أُنْتَرَهَا عَلَى سَارَةِ)، حتى تمشح أثارها فيمشی الحرام خلفها فيمسخ أثارها، فلا تعرف زوج إبراهيم سارة مكان سيرها، قال: (ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَبِأَيُّهَا إِسْمَاعِيلُ وَهِيَ تُرْضِعُهُ حَتَّى وَصَعَتْهُمَا عِنْدَ التَّيْتِ)، في مكان بيت الله الحرام، لم يكن هناك بيت ولكن في المكان الذي جعله الله عز وجل مكان البيت، (عِنْدَ دَوْحَةٍ فَوْقَ رَمْرَمَ فِي أَعْلَى الْمَسْجِدِ) عند شجرة كبيرة فوق ماء زمزم (وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ، وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ)، ليس بها شيء، أرض جرداء، (فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ، وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ، وَسِيقَاءً فِيهِ مَاءٌ، ثُمَّ قَفَى إِبْرَاهِيمُ مِنْطَقًا، فَتَبِعَهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ)، ولما إبراهيم راجعاً، تركها في وادٍ غير ذي زرع، لا نبت فيه ولا ماء، مع ابنه إسماعيل عليه السلام، وإنما رضيع، الهلاك مُحْتَمٌ ونسب الإِجَاءِ ضعیفٌ جداً، كيف تنجو بنفسها في هذا المكان؟ صحراء قاحلة، أودعها هناك ورحل، (فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الْوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ؟) لا إنسان ولا شيء آخر غير الإنسان، أبداً لا شيء، فقالت له مراراً: يا إبراهيم أين تتركنا؟ (وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا).

إبراهيم زوج وأب، كما كل واحدٍ مِمَّا يكون زوجاً وأباً، يُحِبُّ زوجته، ويحبُّ ابنه الرضيع، يتمسك به ولا يريد أن يتركه، لكن إبراهيم عليه السلام أمرُ الله عِنْدَهُمِ فَوْقَ كُلِّ الْإِرْتِبَاطِ، فجعل لا يلتفت، لعله إذا التفت بحث قلبه، يرجع إليها، نهى دمعته فجعل لا يبكي، فقالت له بعد أن نادته مراراً، يا إبراهيم أين تتركنا؟ (فَقَالَتْ لَهُ: اللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟) أدركت أنَّ هناك سبباً وراء ذلك، لا يُمكن لإبراهيم النبي، إبراهيم الزوج الرحيم، الأب العطوف أن يفعل ذلك إلا أن يكون هناك أمرٌ فوق الحسابات، فوق حساباته الزوجية، فوق حسابات الأبوة والنسوة، (فَقَالَتْ لَهُ: اللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ)، كلمة واحدة، (فَالْتُ: إِذَا لَا يُصَيِّعُنَا)، انتهت المشكلة، مادام الله هو الأمر، فهو الحافظ والضامن، (فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ) والنسبة المكان الذي دخل منه النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة المكرمة فاتحاً، (إِذَا كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ حَيْثُ لَا يَرَوْتَهُ) لم يعد مجال للرؤية بينه وبينهم، (ثُمَّ دَعَا بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ:)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ دُرِّيِّهِ بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنْ
الْمَغْرَابِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ (37)

(سورة إبراهيم)

{ أَوَّلَ مَا اتَّخَذَ النَّسَاءُ الْمِنْطَقَ مِنْ قِبَلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ! اتَّخَذَتْ مِنْطَقًا لِيُعْفِيَ أُنْتَرَهَا عَلَى سَارَةِ، ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَبِأَيُّهَا إِسْمَاعِيلُ وَهِيَ تُرْضِعُهُ، حَتَّى وَصَعَتْهُمَا عِنْدَ التَّيْتِ عِنْدَ دَوْحَةٍ فَوْقَ رَمْرَمَ فِي أَعْلَى الْمَسْجِدِ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ، وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ، فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ، وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ، وَسِيقَاءً فِيهِ مَاءٌ، ثُمَّ قَفَى إِبْرَاهِيمُ مِنْطَقًا، فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الْوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا، وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: اللَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: إِذْنُ لَا يُصَيِّعُنَا، ثُمَّ رَجَعَتْ، فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ حَيْثُ لَا يَرَوْتَهُ، اسْتَقْبَلَ بَوَجهِ التَّيْتِ، ثُمَّ دَعَا بِهَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: رَبِّ إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ دُرِّيِّهِ بَوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ حَتَّى بَلَغَ: { يَشْكُرُونَ } [إبراهيم: 37]، وَجَعَلَ أُمُّ إِسْمَاعِيلُ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ وَتَسْرُبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَاءِ، حَتَّى إِذَا تَفَدَّ مَا فِي السَّقَاءِ عَطِشَتْ وَعَطِشَتْ ابْنَهَا، وَجَعَلَ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّى -أَوْ قَالَ: يَتَلَبَّطُ- فَانْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةً أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَوَجَدَتِ الصَّقَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الْأَرْضِ يَلِيهَا، فَقَامَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَتْ الْوَادِي تَنْظُرُ: هَلْ تَرَى أَحَدًا؟ فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَهَبَّتْ مِنَ الصَّقَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ الْوَادِي رَفَعَتْ طَرْفَ رِجْلِهَا، ثُمَّ سَعَتْ سَعْيَ الْإِنْسَانِ الْمُجْهُودِ حَتَّى جَاوَزَتْ الْوَادِي، ثُمَّ أَتَتِ الْمَرْوَةَ فَقَامَتْ عَلَيْهَا وَتَطَّرَتْ: هَلْ تَرَى أَحَدًا؟ فَلَمْ تَرَ أَحَدًا، فَجَعَلَ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ -قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَدْ لَكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا- فَلَمَّا أَشْرَقَتْ عَلَى الْمَرْوَةِ سَمِعَتْ صَوْتًا، فَقَالَتْ: صَوْتٌ تُرِيدُ تَفْسِيهَا- ثُمَّ تَسَمَّعَتْ، فَسَمِعَتْ أَيضًا، فَقَالَتْ: قَدْ أَسْمَعْتُ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غَوَاثُ، فَإِذَا هِيَ بِالْمَلِكِ عِنْدَ مَوْضِعِ رَمْرَمَ، فَجَحَّتْ بِعَقْبِهِ -أَوْ قَالَ: بِجَنَاحِهِ- حَتَّى ظَهَرَ الْمَاءُ، فَجَعَلَ يُحَوِّضُهُ وَيَقُولُ بِدِيهَا هَكَذَا، وَجَعَلَ تَعْرِفُ مِنَ الْمَاءِ فِي سِقَائِهَا وَهُوَ يَقُورُ بَعْدَ مَا تَعْرِفُ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَرَوْحُمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ، لَوْ تَرَكَتْ رَمْرَمَ -أَوْ قَالَ: لَوْ لَمْ تَعْرِفْ مِنَ الْمَاءِ- لَكَانَتْ رَمْرَمُ عَيْنًا مَعِينًا. قَالَ: فَسَرَبَتْ وَأَرْصَعَتْ وَلَكِنَّا، فَقَالَ لَهَا الْمَلِكُ: لَا تَحَافُوا الصَّبِيحَةَ؛ فَإِنَّ هَاهُنَا بَيْتُ اللَّهِ، بَيْنِي هَذَا الْغُلَامُ وَأَبُوهُ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَهْلَهُ، وَكَانَ النَّبِيُّ مُرْتَفِعًا مِنَ الْأَرْضِ كَالرَّابِيَةِ، تَأْتِيهِ الشُّيُوبُ، فَتَأْخُذُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، فَكَانَتْ كَذَلِكَ حَتَّى مَرَّتْ بِهِمْ رُفُقَةٌ مِنْ جُرْهُمَ -أَوْ أَهْلُ بَيْتِ مِنْ جُرْهُمَ- مُقْبِلِينَ مِنْ طَرِيقِ كَدَاءٍ، فَتَرَلُّوا فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ، فَرَأَوْا طَائِرًا غَائِقًا، فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا الطَّائِرَ لَيَدُورُ عَلَى مَاءٍ، لَعَهْدُنَا بِهَذَا الْوَادِي وَمَا فِيهِ مَاءٌ، فَأَرْسَلُوا جَرِيًّا أَوْ جَرِيَّتَيْنِ فَإِذَا هُمُ بِالْمَاءِ، فَجَرَعُوا فَأَحْبَبُوهُمْ بِالْمَاءِ، فَأَقْبَلُوا، قَالَ: وَأُمُّ إِسْمَاعِيلَ عِنْدَ الْمَاءِ، فَقَالُوا: أَتَأْتِينَ لَنَا أَنْ تَشْرَبِ عِنْدِكِ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ، وَلَكِنْ لَا حَقَّ لَكُمْ فِي الْمَاءِ، فَالُوا: نَعَمْ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَالَقَى ذَلِكَ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُحِبُّ الْإِنْسَانَ، فَتَرَلُّوا وَأَرْسَلُوا إِلَى أَهْلِهِمْ فَتَرَلُّوا مَعَهُمْ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِهَا أَهْلٌ أَتِيَتْ مِنْهُمْ، وَسَبَّ الْغُلَامُ وَتَعَلَّمَ الْعَرَبِيَّةَ مِنْهُمْ، وَأَنْفَسَهُمْ وَأَعَجَبَهُمْ حِينَ سَبَّ، فَلَمَّا أَدْرَكَ رَوْجُوهُ امْرَأَةً

منهم، وماتت أم إسماعيل، فجاء إبراهيم بعدما تزوج إسماعيل يطالع تركته، فلم يجد إسماعيل، فسأل امرأته عنه، فقالت: خرج يتبعي لنا، ثم سألتها عن عبيتهم وهبيتهم، فقالت: نحن بشر، نحن في صبيق وشدة، فسكت إليه، قال: فإذا جاء زوجك فأقرني عليه السلام، وقولي له: عبيت عتبه بايه، فلما جاء إسماعيل كأنه آسن شيئاً، فقال: هل جاءكم من أحد؟ قالت: نعم، جاءنا شيخ كذا وكذا، فسألنا عنك فأخبرته، وسألني: كيف عيشتا؟ فأخبرته أنا في جهد وشدة، قال: فهل أوصاك بشيء؟ قالت: نعم، أمرني أن أقرأ عليك السلام، ويقول: عبيت عتبه تايبك، قال: ذاك أبي، وقد أمرني أن أقارئك، ألحقني بأهلك، فطلقها، وتزوج منهم أخرى، فليت عنهم إبراهيم ما شاء الله، ثم أتاهم بعد فلم يجدوه، فدخل على امرأته فسألها عنه، فقالت: خرج يتبعي لنا، قال: كيف أنتم؟ وسألها عن عبيتهم وهبيتهم، فقالت: نحن بخير وسعة، وأنت على الله، فقال: ما طعامكم؟ قالت: اللحم، قال: فما سربكم؟ قالت: الماء، قال النبي صلى الله عليه وسلم: ولم يكن لهم يومئذ حب، ولو كان لهم دعا لهم فيه. قال: فهما لا يحلو عليهما أحد بغير مكة إلا لم يوافقاه، قال: فإذا جاء زوجك فأقرني عليه السلام، ومريه يئيب عتبه بايه، فلما جاء إسماعيل قال: هل أتاكم من أحد؟ قالت: نعم، أتانا شيخ حسن الهيئة، وأنت عليه، فسألني عنك فأخبرته، فسألني: كيف عيشتا؟ فأخبرته أنا بخير، قال: فأوصاك بشيء؟ قالت: نعم، هو يقرأ عليك السلام، ويأمرك أن تئيب عتبه تايبك، قال: ذاك أبي، وأنت العتبه، أمرني أن أمسكك، ثم ليت عنهم ما شاء الله، ثم جاء بعد ذلك وإسماعيل يبري تبلاً له تحت دوحه قريباً من رمزم، فلما رآه قام إليه، فصعاً كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد، ثم قال: يا إسماعيل، إن الله أمرني بأمر، قال: قاصت ما أمرك ربك، قال: وتعبني؟ قال: وأعينك، قال: فإن الله أمرني أن أتيني ها هنا بيتاً، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها، قال: فعند ذلك رفا القواعد من البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبنى، حتى إذا ارتفع البناء، جاء بهذا الحجر فوصعه له فقام عليه، وهو يبني وإسماعيل يئول الجارة، وهما يقولان: {ربنا تقبل منّا إنك أنت السميع العليم} [البقرة: 127]، قال: فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان: {ربنا تقبل منّا إنك أنت السميع العليم} [البقرة: 127] {

(صحيح البخاري)

وللقصة بقية وهي طويلة، موجودة في كتب الحديث، وفي صحيح البخاري تحكيها، لكنني أتوقف هنا.

ما معنى لبيك اللهم لبيك؟



الحج استجابة لأمر الله عز وجل

أيها الإخوة الكرام، بداية الحج استجابة لأمر الله عز وجل، لذلك يقول الحجاج لبيك اللهم لبيك، ما معنى لبيك؟ كأن نداءً بداخلهم أن يا عبيدي تعال لأريحك من عناء الدنيا وهمومها، لبيك اللهم لبيك، كأن نداءً أن تترك مشاغل الحياة وتقف بين يدي ربك، لبيك اللهم لبيك، كأن نداءً تعالي سفاسف الأمور ودينيتها وتعال إلى معالي الأمور وأشرفها فيقولوا: لبيك اللهم لبيك، كأن نداءً في داخله أن يا عبيدي اترك هموم الدنيا ومشاعلها، وتعال إلى ما يبقى، دع عنك ما يفنى وهلم إلى ما يبقى وبدوم، فيقول: لبيك اللهم لبيك، هذا معنى الاستجابة لأمر الله عز وجل، هنا أيها الإخوة، إبراهيم عليه السلام لما قفل راجعاً كما أسلفنا (فقال له: الله الذي أمرك بهذا؟ قال: نعم، فالت: إذا لا يصنعنا) أيها التاجر، أيها البائع، الله أمرك أن لا تغش المسلمين؟ الله أمرك أن لا تسغل حاجتهم؟ الله أمرك أن لا تحتكر أوقانهم؟ إذا لا يصنعك، أيها المعلم في صفك الله أمرك أن تعلم طلابك بإخلاص؟ أن تبني فيهم التربية والعقيدة الصحيحة؟ أن تحرص على دينهم وعلى دنياهم؟ إذا لا يصنعك، أيها الأب، الله أمرك أن تربي أولادك؟ أن تحفظ لهم دينهم قبل أوقانهم؟ أن تحفظ أهل بيتك، أن تقي نفسك وأهلك النار، إذا لا يصنعهم، أيها الأم، الله أمرك أن تلتفتي إلى أولادك وإلى بناتك، فتعلمهم على العفة والجسمة والحجاب؟ إذا لا يصنعك، أيها الطالب الله أمرك أن تدرس وتتفوق وتخدم أمك، وتجعل علمك في خدمة الأمة إذا لا يصنعك، أيها الموظف في مكتبك، الله أمرك أن تخدم مراجعك، أن لا تبتز وقتهم ولا مالهم، أن تعاملهم كما تعامل أهل بيتك، إذا لا يصنعك.

المؤمن في إمتحان دائم عنوانه هل تستجيب لأمر الله؟

المؤمن أيها الإخوة وهو في بلدة قبل أن يذهب إلى الحج ويقول: لبيك اللهم لبيك، وهو في بلدة مَعْزُضٍ في كل لحظة لامتحان عنوانه هل تستجيب لأمر الله؟ الله أمرك فهل استجبت لأمره؟ قبل أن تقول لبيك اللهم لبيك في الديار المقدسة، هل تقولها في وطنك؟ هل تقولها بين أهلك؟ قل لبيك اللهم لبيك وأنت في ديارك، قبل أن تذهب إلى بيت الله الحرام، لبيك أي يا رب أنت أمرت وأنا عند أمرك، ومادام الله هو الأمر فهو الحافظ والضامن.

إبراهيم عليه السلام يُمثل قمة الاستجابة لأوامر الله:



النبى إبراهيم يُمثل قمة الاستجابة لأمر الله

إبراهيم أبها الإخوة عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، نحن ما من نبيّ نذكره في صلاتنا مع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في كل صلاة، إلا إبراهيم عليه السلام، في كل صلاة، اللهم صلِّ على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، في كل صلاة، لأنَّ هذا النبي أبها الإخوة الكرام يُمثل قمة الاستجابة لأمر الله، ونحن في الصلاة نستجيب لأمر الله ونقف بين يدي الله، إبراهيم أسكن من ذريته بواحد غير ذي زرع استجابةً لأمر الله، إبراهيم ذبح ابنه، وإن لم يذبحه استجابةً لأمر الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (103)

(سورة الصافات)

وَصَلِّ لِلذَّبْحِ وَضِعَ السَّكِينَةَ عَلَى رَقَبَتِهِ، هَلْ تُدْرِكُ هَذَا الْمَعْنَى؟ لَعَلَّ هَذِهِ الْقِصَّةُ أَنَّهَا الْإِخْوَةَ لَا تَفْعَلْ فَعَلْهَا فِي نَفُوسِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ لِأَنَّهَا نَعْرِفُ الْخَاتِمَةَ، نَعْرِفُ أَنَّ اللَّهَ فَدَاهِ ذَبْحٍ عَظِيمٍ، وَأَنَّ إِسْمَاعِيلَ لَمْ يُذَبِّحْ، لَكِنْ لَمَّا وَضِعَ إِبْرَاهِيمَ السَّكِينَةَ عَلَى رَقَبَتِهِ هَلْ كَانَ أَمْرَ الْفِدَاءِ وَارْتِدَاءً؟ أَبَدًا، كَانَ يُنْقِذُ أَمْرَ اللَّهِ، مَاذَا كَانَ مَوْقِفُ إِسْمَاعِيلَ؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102)

(سورة الصافات)

لَمَّا تَخَلَّى إِبْرَاهِيمَ عَنِ كُلِّ ارْتِبَاطَاتِ الْمَادَةِ، وَنَحْنُ غَيْرُ مَأْمُورِينَ بِذَلِكَ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ، نَحْنُ مَأْمُورُونَ بِرِعَايَةِ أَوْلَادِنَا، مَأْمُورُونَ بِحِفْظِهِمْ، هَذَا الْامْتِحَانُ اسْتِثْنَائِي لِإِبْرَاهِيمَ لِمَاذَا؟ لِأَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَيَقُومُ بِعَمَلٍ اسْتِثْنَائِي، سَيَبْنِي الْبَيْتَ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ (26)

(سورة الحج)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (127)

(سورة البقرة)

لذلك إبراهيم لم يكن فرداً واحداً، إبراهيم كان أمةً في الخير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (120)

(سورة النحل)

كسّر الأصنام التي كانت تُعبد آلهةً من دون الله، استجاب لأمر الله فأسكن من ذريته بواحد غير ذي زرع، استجاب لأمر الله فأراد أن يذبح ابنه تنفيذاً لأمر الله، استجاب لأمر الله فرفع القواعد من البيت، وما تزال الأمة إلى اليوم، اقتداءً بأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام تقول ليك اللهم ليبيك، نُحي سنة الأصحّة، لأنّه لم يكن فرداً بل كان أمةً (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً).

أيها الإخوة الكرام إذا لا يُصَيِّعُنَا، نعود إلى قول هاجر (إِذَا لَا يُصَيِّعُنَا)، أستاذة اليقين هاجر، تُعلم الأمة اليقين.

قصة جُليبيب رضي الله عنه ويقين زوجته:

هي أستاذة في اليقين هاجر (إِذَا لَا يُصَيِّعُنَا)، من يملك يقيناً بالله كيقين هاجر؟! امرأة ثانية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، رجلٌ به دمامة وفقير، (ودمامة أي بشاعة)، اسمه جُليبيب، النبي صلى الله عليه وسلم تفقده يوماً قال ألا تتزوج يا جُليبيب، تُزوجك، قال: ومن يُزوجني يا رسول الله؟ من يُزوج جُليبيب الفقير الدميم؟! قال: أنا أفعل، أنا أزوجك، انطلق رسول الله إلى رجلٍ من الأنصار، قال له: زوجني ابنتك، قال: نعم رسول الله، أزوجك فوراً، قال: ليس لنفسي، أريدها لجُليبيب، قال: جُليبيب؟! إذا أستمأرت أمها، أخذ مشورة الأم، رجع إلى البيت قال إن رسول الله يخطب إليك ابنتك، فقالت: نعم لرسول الله زوجها له، قال: ليس لنفسه يريدنا، قالت: لمن؟ قال: لجُليبيب، قالت: لا والله لا تزوجها جُليبيباً وقد منعناها فلاناً وفلاناً، جاءها من هو خيرٌ من جُليبيب وما زوجناها، ثم تزوجها جُليبيب؟! هذه الفتاة الطاهرة خلف الستار تسمع حديث أبونها، صرخت بأعلى صوتها، مَنْ خطبني إليك؟ الخاطب مَنْ؟ قال: رسول الله، قالت: وتزوّدان أمر رسول الله؟! ادفعنا بي إليه فإنه لن يُصَيِّعُنِي، هذه أستاذة ثانية في اليقين، ادفعنا بي إليه فإنه لن يُصَيِّعُنِي، الخاطب رسول الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ وَجَدَ صَلاً (36)

(سورة الأحزاب)



قصة جليبيب وتنفيذ أمر الرسول الكريم

زوجها جُليبيب، وجمع لهما مالا وزوجهم، وبعد زواج جُليبيب بأسابيع دعا داعي الجهاد، خرج جُليبيب للجهاد، وبعد المعركة تفقد رسول الله أصحابه، قال: هل تفقدون من أحد؟ قالوا: لا، قال: ولكنني أفقدُ جُليبيباً، قوموا إلى أرض المعركة، فوجده مسجىً بدمائه في أرض المعركة، قد قتل سبعةً من المشركين ثم قتلوه، انحنى عليه وقبّله من رأسه، قال: يا جُليبيب أنت مني وأنا منك، ثم حمله على ذراعيه، يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: "والله حفرنا قبر جُليبيب وما لجُليبيب فراسن إلا ذراع رسول الله صلى الله عليه وسلم"، فما مِنّا واحدٌ يومها إلا تمنى أن يكون مكان جُليبيب، أما تلك المرأة الصالحة التي دعا لها النبي صلى الله عليه وسلم عند الزواج "اللهم لا تجعل عيشهما كذاً كذاً، وضبّ عليهم من الخير صبباً صبباً"، فما رأيت في العرب أيمّةً، فقد خطبها رجلٌ من وجهاء الأنصار بعد قضاء عديتها، فازت المرأة، وفاز جُليبيب، وفاز الجمع بتنفيذ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

رَبُّنَا أَوْلِيَاتِكُمْ مَعَ أَبْنَائِكُمْ فَالصَّلَاةُ أَوْلَى:

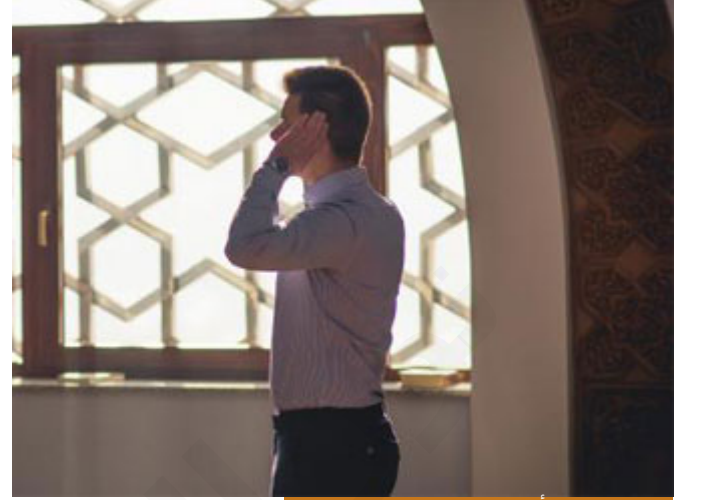
أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ، خَتَاماً لِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا اسْتَقْبَلَ التَّيْبَةَ دَعَا بِكَلِمَاتٍ، قَالَ: (رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ دُونِِّي بَوَادِ عَيْرِ دِي رَزَعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ) مَاذَا يُرِيدُ إِبْرَاهِيمُ الْآنَ؟ يُرِيدُ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ

(رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ) أَوْلَى.

(فَاجْعَلْ أَفِيئَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ) ثَانِيًا.

(وَازْرُقْ لَهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ) ثَالِثًا.

كَيْفَ رَبُّ إِبْرَاهِيمَ أَوْلِيَاتِهِ فِي تَعَامُلِهِ مَعَ أَوْلَادِهِ وَدُرَيْتِهِ؟



الثَّمَرَاتِ عِنْدَمَا تَأْتِي دُونَ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ لَا قِيَمَةَ لَهَا

أَوْلَى: لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ.

ثَانِيًا: النَّاحِيَةُ الْاجْتِمَاعِيَّةُ أَنْ يَأْتِيَ إِلَيْهِمْ أَنَاْسٌ يَحْقُقُونَهُمْ.

ثَالِثًا وَأَخِيرًا: النَّاحِيَةُ الْمَادِيَّةُ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ طَعَامٌ لِلذَّرِيَّةِ، مَعَ أَنَّهُ عِنْدَمَا وَصَعَهَا فِي هَذَا الْمَكَانِ، أَضْطَرَّ مَا يَخْطُرُ فِي بَالِ أَيِّ الْإِنْسَانِ هُوَ نَفَاذُ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، فَبَيْنَ أَيْدِيهِمْ شَيْءٌ لَا يَكْفِيهِمْ إِلَّا لِيَوْمٍ، لَكِنْ مَا قَالَ أَوْلَى رَبَّنَا وَارزُقهم من الثمرات، لِأَنَّ الثَّمَرَاتَ عِنْدَمَا تَأْتِي دُونَ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ لَا قِيَمَةَ لَهَا، وَحَتَّى عِنْدَمَا دَعَا لَهُم بِالثَّمَرَاتِ قَالَ: (وَازْرُقْ لَهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ)، فَإِذَا جَاءَتِ الثَّمَرَاتُ وَلَمْ يَأْتِ الشُّكْرُ، كَانَتِ الثَّمَرَاتُ تَلْفَاءً، وَسَبَبًا مِنْ أَسْبَابِ هَلَاكِ الْمُؤْمِنِ.

رَبُّنَا أَوْلِيَاتِكُمْ مَعَ أَبْنَائِكُمْ أَيُّهَا الْأَحِبَّةُ (رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ) أَوْلَى هَلْ صَلَّيْتَ الْفَجْرَ قَبْلَ أَنْ هَلْ كَتَبْتَ وَاجِبَكَ؟ قَبْلَ هَلْ أَكَلْتَ الطَّعَامَ هَلْ صَلَّيْتَ؟ (رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفِيئَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَازْرُقْ لَهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ).

حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسِبُوا، وَزِنُوا أَعْمَالَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَوَزنَ عَلَيْكُمْ، وَعَلِّمُوا أَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ قَدْ تَخَطَّاهَا لَعِيرْنَا وَسَيَتَخَطَّى غَيْرَنَا إِلَيْنَا فَالْآنُ خُذْ جِذْرَنَا، الْكَيْسَ مِنْ دَانَ نَفْسِهِ وَعَمِلَ لَمَّا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزَ مِنْ أَتَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِيَّ وَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ.

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَلِيُّ الصَّالِحِينَ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ، إِنَّكَ يَا مَوْلَانَا سَمِيعٌ قَرِيبٌ مَّجِيبٌ لِلدَّعَوَاتِ، اللَّهُمَّ بِرَحْمَتِكَ عُقْمْنَا، وَآكْفِنَا اللَّهُمَّ شَرَّ مَا أَهْمَنَا وَأَعْمَنَا، وَعَلَى الْإِيمَانِ الْكَامِلِ وَالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ تَوْقِنًا، نَلْقَاكَ وَأَنْتَ رَاضٍ عَنَّا، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنَّا كُنَّا مِنَ الظَّالِمِينَ، وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، وَارزُقنا اللهم حَسَنَ الْخَاتِمَةِ، وَاجْعَلْ أَسْعَدَ أَيَّامِنَا يَوْمَ نَلْقَاكَ وَأَنْتَ رَاضٍ عَنَّا، أَنْتَ حَسْبُنَا عَلَيْكَ اتِّكَلْنَا، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلَّمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلَّمْنَا مِنْهُ وَمَا لَمْ نَعْلَمْ، اللَّهُمَّ بِفَضْلِكَ عُقْمْنَا، وَآكْفِنَا اللَّهُمَّ شَرَّ مَا أَهْمَنَا وَأَعْمَنَا، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَكَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اللَّهُمَّ بِفَضْلِكَ وَرَحْمَتِكَ أَعْلِ كَلِمَةَ الْحَقِّ وَالدِّينِ، وَانصُرِ الْإِسْلَامَ وَأَعِزِّ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ انصُرِ إِخْوَانَنَا الثُّرَابَطِينَ فِي الْأَفْصَى عَلَى أَعْدَائِكَ وَأَعْدَائِهِمْ يَا رَبِّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ انصُرِ إِخْوَانَنَا الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، اللَّهُمَّ فَزِّحْ عَنِ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ أَطْعِمْ جَانِعَهُمْ، وَاكسُو عُزْبَانَهُمْ، وَارْحَمْ مُصَابِهِمْ، وَأَمِنْ غَرِبِهِمْ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَنَا فِي ذَلِكَ عَمَلًا مُتَقَبَلًا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، اجْعَلْ هَذَا الْبِلَادَ أَمْنًا سَخِيًّا رَحِيًّا مُطْمَئِنًّا وَسَائِرَ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، وَفِيهِ اللَّهُمَّ وَلاةُ الْمُسْلِمِينَ فِي مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا لِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى، وَأَكْرَمَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ أَمْرٌ رَّشِيدٌ، يُعْرِضُ فِيهِ أَهْلُ طَاعَتِكَ، وَبُدَلْ فِيهَا أَهْلَ مَعْصِيَتِكَ، وَتُؤَمَّرُ فِيهِ بِالْمَعْرُوفِ وَيُنْهَى فِيهِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَفِيهِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْبِلَادِ لِقَا فِيهِ خَيْرَ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ.